

شرح أصول الكافي

[53] بالامور الدينية والمعارف اليقينية داخله تحت هذا الحكم بل هي من أعظم الشهادات فهي مشروطة بالعلم قطعاً (والأمر في الشاك) الظاهر أن المراد بالشاك من ليس له رجحان وتصديق أصلاً ومن كان لد رجحان مستند إلى تقليد أو إلى دليل طني بقريضة تقييد العلم فيما سيأتي باليقين، إذ يفهم منه أن الشاك يشمل الأخيرين لقبول رجحانهما تشكيكاً وشبهة (المؤدي) لفرائض الله تعالى (بغير علم وبصيرة) فلبية بتلك الفرائض (إلى الله جل ذكره) أي إلى مشيئته من غير أن يكون قبوله واجباً عليه كما هو الواجب في صورة العلم (إن شاء تطول عليه فقبل عمله وإن شاء رد عليه) هذا إن اتفق إصابته في العمل. إن قلت: أصحاب التقليد مع تحقق الإصابة مؤمنون من أهل الجنة، غايته أن إيمانهم دون إيمان أصحاب اليقين من أرباب المكاشفة والبراهين ودرجاتهم دون درجاتهم فكيف يصح الرد عليهم؟ قلت: أولاً كون اعتقادهم إيماناً يوجب ترتب القبول والثواب والجزاء عليه غير معلوم، وثانياً، أن الإيمان التقليدي قابل للزوال بطريان أدنى شبهة خصوصاً عند حضور الموت واضطراب النفس وإلقاء الشياطين شبهات متكاثرة فربما ينهدم اعتقاده بتلك الشبهات لعدم ابتناؤه على أصل ثابت وأساس قائم، ولقد سمعت من أثق به أنه قال: كانت لعجوزة دعوى على أحد بمال جزيل فمرضت مرضاً شديداً وحضرتها في حال الاحتضار وكررت الشهاداتين عليها وهي لم تتكلم بهما، فلما بالغت في ذلك قالت: إن هذا الذي حاضر يقول لا تتكلمي بهما فانهما تمنعانك من أخذ حقوقك من فلان فماتت، وربما يظهر عنده خلاف بعض عقائده وبطلانه فيصير ذلك سبباً لعدم وثوقه بساير اعتقاداته فيتردد، وربما يميل قلبه إلى حب زهرات الدنيا وشهواتها فيشتغل بها ويغفل عن أمور الآخرة لعدم كونه واثقاً بها ثابتاً عليها فيزهق روحه وهو على تلك الحالة مسلوب الإيمان نعوذ بالله من هذه المفاصد وهذا هو المراد بقوله " إن شاء تطول عليه فقبل عمله وإن شاء رد عليه " يعنى أن مشيئة الله تعالى في شأنه لكونه متزلزلاً غير ثابت غير معلومة لنا إن شاء أبقاه على ما كان عليه بفضلته وإن شاء وكله إلى نفسه. وهذا بخلاف العالم الثابت المنور قلبه بنور ربه فإنه لما كان مستيقناً مشاهداً لما في عالم الملك والملكوت بعين البصيرة عارفاً بالمطالب عالماً بالمفاصد وبحقارة الدنيا وزينتها كان له قدرة له تامة على أن يدفع عن نفسه جميع هذه المفاصد بعون الله تبارك وتعالى، وقد نقل عن بعض المشايخ العارف الكامل: أنه قال في حال الاحتضار حضرني ذلك اللعين وألقى علي شبهات كثيرة وأنا أجبت عن كل واحدة واحدة منها ببراهين قاطعة فأفحم فعلمت أن علمي نفعني في الدنيا والآخرة، والله الموفق والمعين. وإلى ما ذكرناه أشار بقوله: (لأن الشرط عليه من الله أن يؤدي

المفروض بعلم وبصيرة ويقين كيلا يكون ممن وصفه ا فقال تبارك
